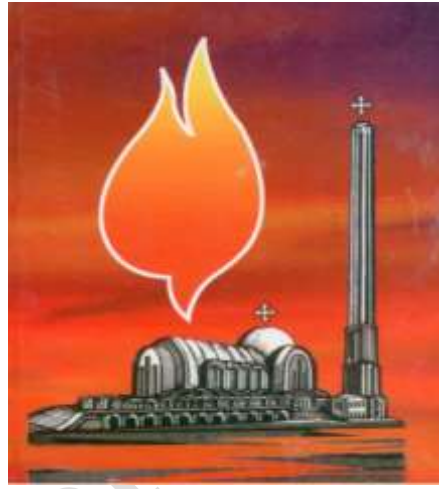


## اولاد العسال: الصيفي والاسعد والمؤمن.

(من كتاب "دراسة عن المؤمن بن العسال وكتابه مجموع اصول الدين وتحقيقه"  
للاخ وديع الفرنسيسكاني، مؤلفات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية، القاهرة-القدس، ١٩٩٧).  
(من مجموعات مقالات من الانترنت)



في خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، قامت بين الأقباط نهضة فكرية ودينية كبيرة، اتخذت بضرورة الحال مظهرًا عربيًا. وبرز في هذه النهضة ثلاثة إخوة هم أولاد العسال، أبناء أسرة قبطية اشتغلت بالعلم والأدب والتشريع، وشغل علماءؤها مناصب هامة في الدولتين الأيوبية والمملوكية، وكما كانوا مقربين من الدولة، كانوا مقربين من الكنيسة ويبدو أنهم ورثوا هذه الاهتمامات الثقافية من جددهم أبي بشر يوحنا المعروف باسم 'الكاتب المصري'.

### اسرة ابناء العسال

نستمد معلوماتنا عن اعضاء هذه الاسرة، في المقام الاول، من كتابات الاخوة الثلاثة، ثم من المصادر التاريخية المسيحية والاسلامية. ويجدر القول ان ما نعرفه عن مؤلفاتهم الادبية يفوق ما نعرفه عن سيرتهم الشخصية.

رأس هذه الاسرة، والذي منه تستمد اسمها هو العسال. و يأتي هذا الاسم من "عسل"، والعسال قد يشير الى صانع العسل، او المتاجر فيه. و لعل العسال كان صاحب مصنع عسل، او من المتاجرين فيه، ولا نعرف اين عاش العسال، الذي كان له ابن اسمه ابو البشر. واسم هذا الابن الكامل، هو ابو البشر يوحنا الكاتب المصري. و ابو البشر هي كنيته، ويوحنا اسمه الشخصي. من

تعبير الكاتب المصري يمكن ان نستنتج انه كان موظفا حكوميا في احد دواوين دولة الخلافة الفاطمية.

وكان لهذا الكاتب المصري ابن اسمه ابو سهل جرجس، ومن هذا وُلِدَ المؤتمن ابو اسحاق ابراهيم، الذي كان له بدوره ابن اسمه فخر الدولة ابو المفضل اسعد. وقد خلف هذا الاخير اربعة ابناء، هم موضوع هذا الفصل.

لدينا معلومات قليلة عن والد اولاد العسال. نستنتج من لقب "فخر الدولة"، انه كان شخصية مرموقة، ربما موظفا حكوميا، او انه كان قد ادى للدولة خدمة ما. ويبدو انه كان غنيا جدا وكراما.

كان فخر الدولة، على الأرجح، واحد من افراد الطبقة العليا من اثرياء الاقباط، الذين كانوا قد اغتنوا بفضل نشاطهم الصناعي والتجاري والاشتغال بالوظائف الحكومية.

### اولاد العسال

انجب فخر الدولة اربعة ابناء، اثنين من زواج اول: الصفي والاسعد؛ واثنين اخرين من زواج ثان، بعد وفاة الزوجة الاولى: المؤتمن والامجد.

عاش الاخوة الاربعة، وزاولوا نشاطهم المدني والديني والادبي في مدينة مصر ومدينة القاهرة. وهناك ولدوا هم واسلافهم، وإن كان بعض المؤرخين المعاصرين لهم قد حاولوا نسبتهم إلى أصول شامية، ولكن القلقشندي في "صبح الأعشي" نفى هذا الوهم. كما واعتقد الكثيرون، استنادا على عدد قليل من المخطوطات، ان مدينتهم الاصلية هي سدمنت، في الصعيد، وان لهم قرابة دموية بالراهب بطرس السدمنتي المعروف بالارمني. الا ان الاساس المبني عليه هذا الاعتقاد خاطيء وغير تاريخي.

تلقى اولاد العسال تكويننا جيدا، مثل ابناء الأسر القبطية الغنية، في حقل الثقافة. كانت لهم معرفة بعلوم وفنون ولغات كثيرة، واشتهروا بخطهم العربي الجميل وينسب إليهم الخط الأسعدي، مع تبصرهم في اللغات القبطية والعربية واليونانية والسريانية، واهتمامهم بالقوانين والشرائع، ووضع أشعار بالعربية على مستوى سام جدا.

ومن المؤسف أن هذا الاسم "اولاد العسال" كان يطلق في تلك المخطوطات على الإخوة الثلاثة جميعا، وقد نشأ عن ذلك اضطراب كان أول من أماط اللثام عنه - إلى حد ما - ريو (Rieu ملحق فهرس المخطوطات العربية في المتحف البريطاني، ص ١٨) والكسيس مالون (Alexis Mallon (المجلة الآسيوية، نوفمبر - ديسمبر ١٩٠٥ ص ٥٠٩ وما بعدها) ومع ذلك فقد بقيت أشياء كثيرة لا نعرفها على وجه التحقيق.

### اولاد العسال

١- الأسعد أبو الفرج هبة الله،

كان لغويا ومفسراً للكتاب المقدس، كتب بالعربية كتاباً في النحو القبطي. كما نشر بالعربية مختارات من الأناجيل، وفيها أطلق على نفسه "الكاتب المصري". كان اقل اخوته الكتاب حظا

من الدراسة، وكتب اقل منهم، ومؤلفاته اقل انتشارا. ساهمت رحلاته العديدة الى خارج مصر، في اثناء مكتبة الاسعد، بالاضافة الى انه كان ناسخا ماهرا.

### مؤلفات الاسعد

يتميز الانتاج الادبي للاسعد بالأصالة والتنوع، وان لم يكن غزيرا.

(١) "ترجمة الاناجيل الاربعة". يعتبر هذا العمل من اهم اعماله، التي وضعها بين سنة ١٢٥٢ وسنة ١٢٥٣. وتنطلق الترجمة من النص القبطي، مع الاشارة الى القراءات المختلفة الواردة في الترجمات العربية السابقة، عن السريانية واليونانية.

(٢) "المقال في النفس". تعتبر هذه المقالة من بي اول مت الف الاسعد، ان لم تكن الاولى على الاطلاق، فقد الفها في شهر نيسان سنة ١٢٣١. وقد وُضعت بناء على طلب وجهه الى المؤلف اخوه الطبيعي الامجد، كما ورد في مقدمة المقال.

(٣) "مقدمة في قواعد اللغة القبطية"، توجد نسخة بلندن وأخرى بأكسفورد.

(٤) "مقدمة على رسائل بولس"، توجد نسخة بمكتبة ليرن في هولندا.

(٥) "مختصر كتاب يوحنا الدرجمي".

(٦) "مختصر مواظ ذهبي الفم على تفسير متى".

(٧) "كتاب في حساب الأبقطي"، فيه بعض قواعد فلكية وتاريخية وجدول للبطاركة.

(٨) "أرجوزة في حساب الأبقطي"، شرحها البابا يوحنا (١٠٧).

### وفاته:

لا يُعرف تاريخ محدد لوفاة الاسعد. ولكنه مات قبل سنة ١٢٥٩، كما يشهد ناسخ اقدم مخطوط يجوي "ترجمة الاناجيل" للاسعد، اذ ان الناسخ يطلب له مرتين الرحمة.



### ٢- الصفي أبو الفضائل ماجد

وُلد الصفي ابو الفضائل على الارجح في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. و اعتبره البعض البكر بين اخوته، بينما عدة اخرون اصغرهم. لا نعرف ان كان الصفي قد عمل في احد

دواوين الدولة الايوبية، فان كتاباته لا تحوي اية اشارة حول هذا الامر. ولا نعرف ايضا ان كان متزوجا او لا. اما بالنظر الى المناصب الكنسية، فهو لم يكن اسقفا، ولا كاهنا، ربما كان شماسا فقط. الا انه من المعروف بشكل مؤكد انه قام بدور بارز ككاتب (سكرتير) لسينودس كنيسة حارة زويلة، الذي عُقد سنة ١٢٣٨.

### مؤلفات الصفي

تتميز مؤلفات الصفي بالتنوع والكثرة. وكان مشترعاً وجدليا. ومؤلفاته حظيت باكثر من نشرة وترجمة. ويتميز اسلوب الصفي بالسهولة والسلاسة والدقة والايجاز. ويمكن تقسيم هذه المؤلفات الى: عقائد ودفاع، خطب ورسائل، قانون، مختصرات، واخيرا كتابات مفقودة واخرى مشكوك في صحة نسبتها اليه.

(١) كتاب الصحائح في الرد على النصائح (توجد نسخة بمكتبة اليعاقبة بالقدس). كُتب ردا على كتاب لعلي بن ربان الطبري، الذي كان مسيحيا نستوريا، فأسلم على يد الخليفة العباسي المتوكل (٨٢١-٨٦١). ويقع كتاب الصفي في ١٥ فصلا.

(٢) كتاب نهج السبيل في الرد على من قدح في الإنجيل. عُدَّ هذا المؤلف كتكملة للكتاب "الصحائح" او كجزء ثان له. وقد وُضع هذا العمل للرد على كتاب صالح الجعفري. و يتكون رد الصفي من مقدمة وخمس قواعد، تنفيذها للقواعد الخمس الواردة في كتاب الجعفري "تحجيل محرفي الإنجيل".

(٣) جامع اختصار القوانين المعروف بالمجموع الصفوي، ألفه سنة ١٢٣٩م.

(٤) الكتاب الأوسط، وهو اختصار للكتاب السابق.

(٥) فصول مختصرة في التثليث والتوحيد (توجد نسخة بمكتبة باريس وأخرى بمكتبة الفاتيكان). يتناول نصفها الاول التثليث، والثاني الاتحاد، وتبتعد المقالة عن الطابع الدفاعي والجدلي، الذي تتميز به مصنفات الصفي الاخرى. ويعتمد فيها المؤلف على كتابات عبدالله بن الطيب، ويحيى بن عدي، وكتاباته السابقة هو نفسه.

(٦) حواشي على مناظرات الشيخ عيسى الوراق مع ابن العبري، وأجوبة على اعتراضات عبد الله الناشي وغيره.

(٧) أرجوزة في الموايظ، نشرت في المجموع الصفوي (طبعة ١٩٠٨م).

(٨) كفاية المبتدئين في علم القوانين... وهو كتاب مفقود.

(٩) كتاب الفردوس، طبع في مصر سنة ١٩١٢م تحت عنوان الفردوس العقلي.

(١٠) كتاب في تاريخ الكنيسة وتطابقه مع العلوم الفلكية، كما يدعى باسم مجموع التواريخ لعلوم القبط.

(١١) مجموع القوانين، طبعه القمص يوسف حبشي.

(١٢) **خطب ومواعظ ابن العسال**، طبع في مصر سنة ١٨٨٧م. كامل صالح نخلة: سلسلة تاريخ الباباوات... الحلقة الأولى، طبعه ١٩٥١م، ص ١٠٩-١١٧.

الا ان الصفي اشتهر شرقا وغربا، بالخصوص بفضل "كتاب مجموع القوانين" المعروف بالمجموع الصفوي، الذي ألفه سنة ١٢٣٩م. وهو عبارة عن مجموعة مختصرة من القوانين التي شرعها المؤتمر القبطي الذي عقد في القاهرة عام ١٢٣٩م في كنيسة حارة زويلة، الذي وضعه بتكليف من الكنيسة الأرثوذكسية المصرية. وأطلقت عليه الكنيسة الحبشية اسم "قوانين الملوك". وترجع دوافع جمع هذه التشريعات، إلى الظروف التي كانت تعيش بها الكنيسة علي عهد البطريرك الخامس والسبعين 'كيرلس بن القلق'، فرغم ما كان يتمتع به الرجل من علم وفضل، إلا أنه أدخل علي تقاليد البطريركية أمورا أغضبت الأساقفة، مما دفعهم إلي عقد مجمع مقدسي حضره أربعة عشر أسقفا يمثلون الوجهين البحري والقبلي لمعالجة هذه الارتباكات المؤسفة، وانعقد المجمع الأول في كنيسة حارة باب زويلة بالقاهرة وانعقد المجمع الثاني بالقلعة وحضره الصاحب الوزير معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ، وفي هذين المجمعين وضعت نصوص القوانين والتشريعات، وكان 'الصفي' بن العسال كاتم السر، فكلفه المجمع المقدسي بكتابة مسودة قوانين المجمع الأول بخطه، كما كلف الأنبا 'يوساب' أسقف مدينة فوة بكتابة قوانين المجمع الثاني بخطه، وجمع ابن العسال كل ما أسفر عنه المجمعان من قوانين كنيسة في مجموعته المذكور، وتوجد بعض مخطوطات منه في معهد الدراسات القبطية والمتحف القبطي، وصدر مطبوعا في سنة ١٩٠٨ بجهد وتعليق العلامة جرجس فيلوتاوس، ثم نشره مرقص جرجس سنة ١٩٢٧، وفي سنة ١٩٦٥ قام الدكتور عبد السمیع محمد أحمد أستاذ اللغات الشرقية بجامعة القاهرة، بدراسة منهجية عن الكتاب مقارنة بترجمته الحبشية، وبذل فيه جهدا علميا ألقى فيه الضوء علي هذه الصفحة من تراثنا القبطي.

### وفاته

تلتزم المصادر ومخطوطات مؤلفات الصفي الصمت حول تاريخ وفاته. ولم يهتم بهذا الامر اول الذين تعرضوا له بالدراسة. أما اول من سعى الى البحث عن تاريخ لهذه الوفاة فهو جراف، الذي، في سنة ١٩٣٢، وضعها بين سنة ١٢٥٣ وسنة ١٢٦٠، بعد ذلك بسنة، أي سنة ١٩٣٣ او بعدها قبل سنة ١٢٥٣. واخيرا، سنة ١٩٤٧، اعتبرها تمت قبل سنة ١٢٦٠. الا انه من المؤكد انه لم يمت قبل ١٢٥٣. وقد توفي الصفي بعد حياة طويلة، كما يمكن الاستنتاج من كلماته في رسالة التعزية الى اخيه المؤمن: "ولو رأيتني، يا اخي، لعجبت من كثرة الشيب في وجهي. وهذا لطول المرض في هذه السنين، والتقدم في السن، وكثرة الهموم".

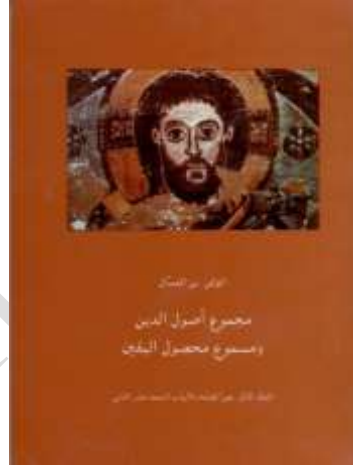
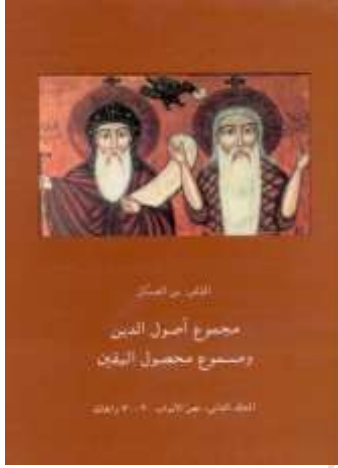
### ٣- مؤتمن الدولة أبو إسحاق

فمن الواضح أنه كان أصغر أخويه، لأنه كان يتحدث عما كان لهما من شهرة، كما أضاف إلى اسميهما في بعض المواضع كلمة "رحمهما الله" يدل بذلك على أنهما قد توفيا. وليس من شك في أن هذا الأخ نفسه قد ولي بعض المناصب الرسمية إذ أطلق عليه لقب "المؤتمن" أو "مؤتمن الدولة" أو "مؤتمن الدين المسيحي بن العسال امتاز بنسكه وحبه للعبادة مع الدراسة والمعرفة. فقد تبيحت زوجته التقية، فبعث إليه أخوه الصفي رسالة يحثه فيها على الحياة النسكية بعد فقدته مُعينته.

ووجدت الرسالة لها صدى في قلب هذا التقي، فتتلمذ على يدي القديس أنبا بطرس الحبيس، وقد لقبه ابن الدهيرى مطران دمياط المعاصر له: "الشيخ الرئيس الناسك والعابد والمؤمن". سيم قسماً فقمصاً والتزم القلاية البطريركية يعاون البابا كيرلس بن لقلق في تحرير مراسلاته. و حياة حافلة بالعمل والانتاج الادبي توفي المؤمن، في الربع الاخير من القرن الثالث عشر، ولا يمكن تحديد تاريخ هذه الوفاة بالضبط.

### من مؤلفات المؤمن

انتاج المؤمن الادبي يشمل العقائد والدراسات الكتابية والليتورجية واللغوية. و قد حظيت مصنفاته بالانتشار الواسع. يشهد على ذلك العدد الكبير من المخطوطات لها. و لم يضع المؤمن، مثل اخيه الصفي، كتابات دفاعية، ولكن مؤلفاته تهدف بشكل عام الى ذلك.



- (١) **مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين**، وهو كتاب لاهوتي ممتع، توجد منه نسخ بمكتبة البطريركية، ومكتبات باريس ولندن والمكتبة الشرقية ليسوعيين.
- (٢) **التبصرة المختصرة في العقائد النصرانية.**
- (٣) **تفسير الأمانة المقدسة**، توجد نسخة بمكتبة باريس.
- (٤) **تفسير ما ورد في الإنجيل عن آلام سيدنا يسوع المسيح إلى صعوده**، ومقدمة عن أصول تفسير الكتاب المقدس.
- (٥) **إيضاح تفسير تدابير السيد المسيح من حين الحبل به إلى صعوده إلى السماء.**
- (٦) **مجموع الأصول شرح رسالة عيسى بن يحيى الجرجاني في أقسام الدين .**
- (٧) **آداب الكنيسة.**
- (٨) **خطب الأعياد السيدية وغيرها.**
- (٩) **ترياق العقول في علم الأصول**، والأسرار الخفية في علم المسيحية.
- (١٠) **وأهم تصانيفه كتاب "السلم"** وهو في المفردات القبطية والعربية، منها الكلمات التي تستعمل في الصلاة، وقد رتبها على حروف المعجم باعتبار أواخر الكلمات. وقد نشر كرشر Kircher هذه المفردات عام ١٦٤٣م في كتابه *Lingua aegyptiaca restituta* وبعض رسائل دينية

مأخوذة من "أصول الدين" الذي تنسبه بعض المخطوطات إلى أبي إسحاق، وينسب شيخو هذه الرسائل لأبي الفرج، بينما ينسب القمص ميخائيل الخطب إلى الصفي. أضف إلى هذا الاضطراب أننا لا نعرف التواريخ المضبوطة عن حياة الأخوة الثلاثة. أما الخطب التي طبعها القمص، فيقال إنها أخذت من مخطوط بخط مؤلف يرجع تاريخه إلى عام ١٢١٤م، وهذا يناقض نسبتها إلى الأخ الأصغر.

#### ٤- الامجد ابو المجد فضل الله

الامجد هو الاخ الرابع من اسرة اولاد العسال. يخبرنا يوساب اسقف فوة ان الامجد كان كاتباً في ديوان الجيش. اما المؤرخ المسلم المقريري، فيخبرنا ان الامجد كان كاتباً للدرج، وانه عُيِّن للعمل في ديوان الانشاء.

كان الامجد متزوجاً، ونعرف اسم اثنين من ابنائه: فخر الدولة ونصرالله. وكان غنياً يسكن بيتاً كبيراً في حارة زويلة، في القاهرة، ويملك بيتاً آخر في دمشق، حيث كان يتزل هو واخوته، اثناء رحلاتهم المتعلقة بالعمل والبحث عن مخطوطات.

إذا نُظِرَ الى الامجد من الجهة المميزة لآخوته، فهو استثناء؛ فبينما كان هؤلاء من الكتاب المشهورين، لا نعرف له هو أي مؤلف. مع ذلك لم يكن الامجد غريباً عن عالم الكتب وعلى الثقافة الكنسية المعاصرة له؛ فنعرف انه كان يملك مكتبة، وكان له ناسخ يقوم بنسخ الكتب، في بيته، وهو الراهب غبريال.

لم يكن الامجد يهتم بالثقافة الكنسية فحسب، بل كان يشجعها ويعمل على ارتقائها. كان باحثاً مجتهداً عن الكتب، ولا سيما النادر منها، وكان قارئاً متيقظاً؛ غير ان وظيفته لم تكن تسمح له بتكريس الوقت للتأليف. وكان يكلب من اخوته الكتابة حول المسائل التي كانت تهمه، وكان يزودهم بالكتب التي كان يشتريها في اسفاره.

في سنة ١٢٣١، وضع الاسعد اخوه "المقالة في النفس" بناء على طلبه. وربما ايضا اعد "ترجمة الاناجيل الاربعة" استجابة لطلبه. وفي وقت لاحق وصلت الى يد الصفي بواسطته نسخة من "الكتاب الاوسط في المقالات" للناشئ الاكبر (ت ٩٠٦) بخط يحيى بن عدي، تاريخها ٣١١هـ/٩٢٣م. وقد فند الصفي كتاب الناشئ، وقدم مؤلفه للامجد، كما نقأ في فاتحة الكتاب.

#### وفاته

من الصعب تحديد تاريخها، الا انه بالتأكيد كان حياً عندما كان المؤمن يضع كتابه "مجموع اصول الدين"، لأنه في الباب الستين يتمنى له حياة طويلة. ولا يمكننا القول الى متى طالت هذه الحياة، ولعله توفي في اواخر القرن الثالث عشر.